الفلسفة ثانية باك

مفهوم الحرية (المحور الثاني : الحرية والإرادة)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : رينيه ديكارت
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : إيمانويل كانط
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : فريدريك نيتشه
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

تثير قضية حرية الإرادة أو الإرادة الحرة مجموعة من التساؤلات حول قدرة الإنسان في ممارسة السيطرة على العوامل العقلانية وغير العقلانية في تصرفاته وقراراته وخياراته. وتناول هذه المسألة يتطلب فهم العلاقة بين الحرية والحالة التي نحن عليها أو التي نرغب بالوصول إليها، وتحديد ما إذا كانت القوانين الطبيعة هي حتمية سببية أم لا.

إن المواقف الفلسفية المختلفة التي اتُخذت تختلف بشأن ما إذا كانت كافة الأحداث يتم تحديدها من خلال الحتمية أم لا (الحتمية مقابل اللاحتمية)، وأيضا ما إذا كان يمكن أن تتعايش الحرية مع الحتمية أم لا. مقابل هؤلاء، هناك الذين يجادلون بأن العمليات في الكون ذات طابع حتمي، وهذا يجعلها حتمية صلبة لا يمكن بل من المستحيل أن تتواجد أو تتعايش مع حرية الإرادة.

- فما هي طبيعة العلاقة بين الحرية والإرادة ؟
- وهل حرية إرادته في مسايرة ميوله الطبيعية أم في التحكم فيها ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : رينيه ديكارت

1-2/ النص الفلسفي

الإرادة هي حرية الاختيار

ديكارت

الإنسان حسب الفلسفة الديكارتية كائن حر في اختياراته. وهذه الحرية تقوم على الإرادة التي هي ملكة الفعل أو عدم الفعل انطلاقًا من معرفة مسبقة بالفعل وبنتائجه. والإرادة حسب ديكارت لا تخضع لأي إكراه خارجي أثناء فعلها أوعدم فعلها، لذلك فهي المحددة للحرية الإنسانية. وعلى الرغم من كون إرادة الإنسان ليست مطلقة كما هو حال إرادة الخالق، إلا أنها تتمتع بقوة تجعلها محدِّدة لحرية الإنسان تحديدًا مطلقًا.

فتاة تضع يدها على خصرها، لوحة للفنان أوسكار كوكوشكا
Oscar Kokoschka : 1921

«أما الإرادة أو حرية الاختيار فقد خبرتها في نفسي فوجدتها وحدها كبيرة للغاية، بحيث لا أتصور غيرها أوسع وأرحب منها.

ولما كانت إرادتي بمثل هذه القوة فهي على وجه الخصوص الأمر الذي يجعلني أحكم أني على صورة الله ومثاله.

فمع أن هذه الإرادة أعظم في الله مما هي فيّ أنا، دون أي وجه للمقارنة ـ وذلك إما لأن امتلاكها للمعرفة والقدرة يجعلها أمتن وأشد تأثيرًا، وإما لأن الموضوعات التي تتعلق بها إرادة الله كثيرة لا يحصرها العدّ ـ فإنها على الرغم من هذا لا تبدو لي في الله أكبر مما هي فيّ، إذا أنا اعتبرتها من حيث هي على جهة الصورة وعلى جهة التحديد.

ذلك أن الإرادة إنما تقوم على استطاعتنا أن نفعل الشيء أو ألا نفعله، وأن نثبته أو أن ننفيه، وأن نقدم عليه أو أن نحجم عنه. وبعبارة أدق، لكي نثبت أو ننفي الأشياء التي يعرضها الذهن علينا، ولكي نقدم عليها أو نحجم عنها، إنما نتصرف بمحض اختيارنا دون أن نحس بضغط من الخارج يملي علينا ذلك التصرف فإن ثبوت حرتي لا يقتضي أن أكون غير مبالٍ بالأشياء، أي أن يستويَ الضدان عندي بلا رجحان، بل الأولى أن يقال إن حريتي في اختيار أحد الطرفين وإيثاره على الآخر تزيد بمقدار ما يكون عندي من الميل إليه، إما لأني أعرف بالبداهة ما فيه من خير وحق، وإما لأن الله قد دبّرَ دخيلة فكري بحيث أميل إليه. ولا ريب أن الفضل الإلهي والمعرفة الطبيعية لا ينتقصان من حريتي شيئًا، بل إنهما يزيدانها ويقويانها. ولهذا أرى أن عدم المبالاة أو استواء الطرفين ـ الذي أشعر به حين لا يدفعني سبب من الأسباب إلى ترجيح جانب على آخر ـ هو أحط مراتب الحرية وفيه دلالة على عيب في المعرفة أكثر مما فيه من دلالة على كمال في الإرادة : فإني لو كنت أعرف دائمًا على وجه الوضوح ما هو حق وما هو خير لما كنت أجد عناء في تعيين أي رأي ينبغي أن أرى وأي أمر ينبغي أن أختار، ولكنت لذلك حرًا تمام الحرية، دون أن أكون أبدًا غير مبال.»

ديكارت، التأملات، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، التأمل الرابع، ص ص. 187 – 189 .

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه ديكارت.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن ديكارت يجيب عنه.

2- أبني أطروحة ديكارت من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب ديكارت عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ديكارت وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفي

يؤكد ديكارت أن الإرادة محدد أساسي لحرية الإنسان، باعتبارها قوة باطنية سابقة على الفعل وبعيدة عن المؤثرات والظروف الخارجية، فإرادتي هي حريتي في فعل الشيء أو نفيه، فالإنسان حر بإرادته التي تجعله سيد نفسه واختياراته وليس بالخضوع للضغوطات الخارجية.

حرية الإرادة تتيح للفرد حسن التصرف بدون قيد أو شرط خارجي، فالقول بأني حر معناه أني حر فيما أختار وفيما أريد، وما اختياراتي وحريتي إلا ترجمة لإرادتي التي لا يمكن لأي ضغط خارجي أن يقيدها، والتي تجعلني سيد نفسي واختياراتي من جهة وسيدا للطبيعة من جهة أخرى، لأني أفكر وأعرف ثم أختار، حيث أن الفكر أساس المعرفة.

فإرادة المعرفة اذن هي التي تحرر الأنا العاقل من الحواس ومن الرغبات الأخرى التي تقيد الفعل.

III- الموقف الفلسفي 2 : إيمانويل كانط

1-3/ النص الفلسفي

الإرادة الحرة

ليس يكفي أن ننسب، لسبب ما أياً كان، الحرية 1 لإرادتنا 2 ، إذا لم يكن لدينا سبب مقنع لنسبتها كما هي لجميع الكائنات العاقلة. ذلك لأنه لما كانت الأخلاقية لا تنهض بمهمة القانون 3 لنا إلا من حيث كوننا كائنات عاقلة 4 ، فإنها يلزم أن تصلح أيضا لجميع الكائنات العاقلة، ولما كان لابد لها من أن تستمد من خاصية الحرية، فينبغي أيضا أن يثبت أن الحرية خاصية لإرادة جميع الكائنات العاقلة، ولا يكفي أن يثبت ذلك ببعض تجارب مزعومة للطبيعة الإنسانية (وهذا، مع ذلك، مستحيل استحالة مطلقة، فليس يمكن إلا إثبات أولي) ولكن ينبغي أن نبرهن عليها باعتبارها منتمية بوجه عام إلى نشاط الكائنات العاقلة ذات الإرادة. ومن ثم أقول: كل كائن لا يستطيع أن يعمل إلا في كَنَفِ فكرة الحرية، هو بهذا ذاته، من وجهة النظر العملية، حر على الحقيقة، أعني أن كل القوانين التي ترتبط بالحرية ارتباطا لا فكاك منه تصلح له على الدقة بنفس الطريقة كما لو كان من المقطوع به أن إرادته حرة بذاتها(...) وأنا أؤيد أننا ينبغي أن ننسب بالضرورة أيضا لكائن عاقل له إرادة، فكرة الحرية، وأنه يكون في وسعه أن يعمل في كنف هذه الفكرة.

إمانويل كانط، **أسس متافزيقا الأخلاق**، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، لبنان، 1970، ص: 163 – 165.

3-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه كانط.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن كانط يجيب عنه.

2- أبني أطروحة كانط من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب كانط عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

يرى كانط، أن كل كائن عاقل يتمتع بحرية الإرادة والقدرة على القيام بالفعل الأخلاقي، إذ لا يمكنه أن ينفذ الواجب دون أن يشعر بنفسه حرا، وأي كائن لا يمكنه أن يشتغل إلا في إطار الحرية، يمكن اعتباره عمليا حرا كذلك، وكل القوانين التي ترتبط بحريته ستصبح صالحة لأن ترتبط بإرادته أيضا، وهكذا تقترن الحرية بالإرادة، (الإرادة الحرة)

وأي غياب لهما سيجعل الفعل الأخلاقي بدون معنى.
(ينبغي أن ننسب بالضرورة أيضا لكائن عاقل له إرادة، فكرة الحرية).

IV- الموقف الفلسفي 3 : فريدريك نيتشه

4-1/ النص الفلسفي

إرادة الحياة

إذا ضربنا صفحاً عن ذكر المَثَل الزُّهْدي[1]، فإننا سنلاحظ أن الإنسان، الحيوان- الإنسان، لم يكن له حتى الآن أي معنى. لم يكن لوجوده على الأرض أي هدف، وقد ظل هذا السؤال "ما الغاية من وجود الإنسان؟" بلا جواب. كانت تنقص الإنسان إرادة[2] أن يكون إنسانا على الأرض. ووراء كل قدر إنســـان قوي، كانت تتردد لازمة محزنة أقوى منه قائلة: "دون جدوى". وهذا هو معنى المثل الزهدي: كان يريد أن يقول إنه ينقص شـــيء ما. إن فجوة ما تحيط بالإنســـان، لم يعرف الإنسان كيف يبرر نفسه، أو يفسرها أو يؤكدها.

كان يعاني من مشـــكلة تحديد معناه(...) وكان المثل الزهدي فـــي رأي كل وجهات النظر هو الأفضل "لعدم توفر الأفضل". كان هو السبيل الوحيد المتبقي. بفضله تم تفسير المعاناة وسد الثغرة الكبيرة، وإغلاق الباب أمام كل أشكال العدمية[3] والرغبة في الإفناء (...)

مما لا ريب فيه، أنه يســـتحيل أن نخفي عن أنفسنا طبيعة ومعنى الإرادة التي أعطاها المثل الزهدي وجهتها: فبعض ما هو إنســـاني، بل ما هو حيواني، بل ما هـــو مادية Matérialité، والخوف من الحواس، ومن العقل نفســـه، وخشية السعادة والجمال، والرغبة في الهروب من الظاهر، من التغيير والصيرورة والموت والمجهود، ومن الرغبة بنفسها. كل هذا يعني، ولنجرؤ على فهمه، إرادة العدم، والنفور من الحياة، ورفض قبول شـــروطها الأساسية، ولكنها على الأقل إرادة، وستظل كذلك على الدوام! وأكرر في الختام ما قلته في البداية: يفضل الإنسان إرادة العدم على عدم إرادة أي شيء.

فريدريك نيتشه، **جينيالوجيا الأخلاق**، ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق، 2006، ص: 141 – 142 .(بتصرف)

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه نيتشه.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن نيتشه يجيب عنه.

2- أبني أطروحة نيتشه من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب نيتشه عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ديكارت وأطروحة كانط.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

يرى نيتشه بأن مجال الإرادة هو إرادة الحياة، وهذه الإرادة في الحياة هي ما تم إقصاءه من طرف من يزهدون فيها عبر إضفاء طابع أخلاقي عليها في ظل إقصاء تام لما هو غريزي في الإنسان، لأن إرادة الحياة هي رغبة غريزية قبل أن تكون مطلبا أخلاقيا.

هكذا فنيتشه يدعو إلى ضرورة أن نحيا الحياة كماهي بشكل يكرس إنسانية الإنسان، لأن ما يجعل من الإرادة في الحياة إرادة حرة هو عدم تقيدها بالأخلاق فقط، وإنما تكريس ما هو إنساني في التجربة الإنسانية.

V- تركيب

يتضح مما تقدم أن الإرادة الإنسانية إرادة حرة، وهي خاصية ملازمة للذات البشرية من حيث قدرتها على التفكير والعمل، على الوعي والممارسة.

وارتباط الإرادة بالفكر يمهد للفعل، ولكن لا يكون الفعل ممكنا إلا إذا توفرت ظروف إنجازه. فالنظر مقدمة للعمل، والمعرفة شرط للممارسة، والوعي بكل ذلك مع التنفيذ والإنجاز يتيح وصف الإنسان بأنه كائن واع بذاته وحريته وإرادته وقدرته، فلزم من ذلك أنه مسؤول عن اختياره وقراره.